د. يعقوب يوسف الغنيم

الأزمنة والأمكنة

المجلد السادس

Scanned with CamScanner

قراءة قصة المولد النبوي الشريف في الكويت قديمًا[1]

احتفل العالم الإسلامي بالأمس بقدوم يوم مهم في تاريخ الإسلام والمسلمين، وهو يوم يوافق في هذه السنة الثلاثاء الثاني عشر من شهر ربيع الأول، وفيه كان مولد الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

كان الكويتيون - بوجه خاص - يهتمون بهذه المناسبة المباركة، ويحتفلون بها في كل سنة عن طريق قراءة قصة المولد النبوي الشريف. وكانت هذه القراءة تتم في المساجد وفي الديوانيات والمكاتب والمنازل وكان يحتفل بها الرجال والنساء بل والأطفال، وكانت المدارس تعطل في هذا اليوم على الرغم من أن المدارس في ذلك الوقت فلما تعطل على خلاف أيامنا التي تعطل مدارسنا ودوائرنا الحكومية فيها لأيام ولمناسبات ليست بحجم هذه المناسبة، ونحمد الله أن تعطيل المدارس ابتهاجًا بالمولد النبوي قد صار سنة لا تزال المدارس تعمل بها، ولكن كثيرًا من مظاهر الاحتفال التي كانت تتم في الأيام الماضية قد انحسرت وقل وجودها.

كان أئمة المساجد يقرأون قصة المولد النبوي مساء اليوم الذي يصادف تاريخه وهو كما قلنا الثاني عشر من شهر ربيع الأول، ما عدا مسجدًا واحدًا أذكره جيدًا هو مسجد المديرس الذي كانت القصة تروى فيه يوم الثامن عشر من الشهر نفسه، وكان إمامه يقصد من وراء ذلك أمرين أولهما: أن يحتشد له الناس الذين كانوا يتفرقون بين المساجد في اليوم السابق ذكره وهو الثاني عشر، وثاني الأمرين

---

(١) نشرت في جريدة الوطن بتاريخ ٢٠١١/٢/١٦م.

Scanned with CamScanner

أنه يسير على رواية أخرى ذكرت أن المولد الشريف تم في اليوم الثامن عشر. وكان هذا المسجد أكثر ما يكون امتلاءً في هذه الليلة وبخاصة وأن إمامه يتميز بصوت جميل، وقراءة متأنية.

أما ما كان يقرأه أولئك الأئمة فهو كتاب كانت له شهرة كبيرة وهو كتاب (المولد) للبرزنجي.

كنت انتقل في الصغر من مسجد إلى آخر من أجل الاستماع إلى ما اصطلح الناس على تسميته بالمولد أو المولود وفي بعض الأحيان: المالد. وكان أحد أخوالي وهو الخال صالح سليمان الجراح[1] أطال الله في عمره يصطحبني معه لأن الليل يمتد في أثناء القراءة التي تبدأ بعد صلاة العشاء.

وأذكر أن القهوة المرة والقهوة الحلوة وأحيانًا الشاي يدار بها بين المستمعين احتفاءً بهذه المناسبة، وذلك تبرعًا من أحد أو بعض سكان المنازل المحيطة بالمسجد، وهذا أمر قائم في مساجد الكويت في المناسبات الاحتفالية ومنها أوقات صلاة القيام خلال شهر رمضان المبارك.

ومسجد المديرس من مساجد الكويت الموغلة في القدم بالنسبة إلى تاريخ نشأة الكويت، فقد بناه المرحوم عبدالله المديرس في سنة ١٢٢٥هـ التي توافق سنة ١٨١٠م، أما الإمام الذي حضرت قراءته للمولد النبوي في ذلك الوقت فهو رجل صالح لا أذكر اسمه الآن وكانت قراءته محببة إلى النفوس لما كان يتميز به من الورع، وقد أحب الناس فيه هذه الصفة فأقبلوا عليه حتى ضاق بهم المسجد على سعته.

يقع مسجد المديرس أمام المدرسة القبلية للبنات القائم مبناها حاليًا، ولكن هذا المبنى (أي المسجد) مُسْتَغل لمصالح المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،

---

(١) انتقل إلى رحمة الله تعالى بعد نشر هذا المقال وذلك في ٢٠١٣/٣/٢٢م.

Scanned with CamScanner

وهو إلى الجنوب من المدرسة، وقد اهتمت به دائرة الأوقاف العامة منذ نشأت فجددت بناءه في سنة ١٩٥٦م، ثم قامت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ببنائه من جديد في سنة ١٩٨٤م، وهو على حاله منذ ذلك اليوم.

ومن المساجد التي كان الناس يسارعون إليها من أجل سماع قصة المولد من الإمام مسجد الساير الشرقي وهو مسجد لايزال قائمًا يطل على مبنى قصر العدل، وقد أنشئ في سنة ١٣١٢هـ التي توافق سنة ١٨٨٤م، وقد قامت دائرة الأوقاف العامة بتجديده في سنة ١٩٥٥م وكان افتتاحه بعد التجديد يومًا مشهودًا في فريج الشاوي، وقد حضر على رأس المحتفلين بذلك المرحوم الشيخ عبدالله الأحمد الجابر الصباح وعدد من مسؤولي دائرة الأوقاف العامة. وقد أسعدني أن أحضر هذا اليوم الذي كان كبيرًا عندنا بحيث ظل أبناء الفريج يتحدثون عما جرى فيه طويلًا.

هذا الإمام يقرأ البرزنجي ويخلط معه بعض الأناشيد التي يرددها بصوت شجي، وأداء معبّر هو الشيخ الملا محمود بن الملا محمد، وهو - أيضًا - من السكان القريبين من فريج الشاوي في إحدى ضواحيه القائمة غربًا عنه. وهو الذي بدأت الدراسة على يديه إذ كانت له مدرسة أهلية يديرها والده، وهو يساعد الوالد، وقد ترك الرجل وأسرته جميعًا ذكرًا عطرًا في الفريج لما تميزوا به من حسن الخلق وحب الخير والوفاء. ولقد انقطعت هذه العادة (عادة قراءة البرزنجي) عن كافة مساجد الكويت الآن، وتم الاكتفاء بالحفل السنوي الرسمي الذي تقيمه دائرة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، وهو حفل لولا إذاعته بواسطة التلفاز لما علم به أحد.

ويبدو أن قراءة المولد للبرزنجي كانت قديمة هنا ومما يذكر في هذه السبيل ما أورده الشيخ يوسف بن عيسى القناعي عندما كتب عن نشأة المدرسة المباركية

Scanned with CamScanner

والأسباب التي دعت إلى ذلك، ضمن حديثه عما تم في سنة ١٩١٠م يقول: «كان الشيخ محمد بن جنيدل يقرأ البرزنجي في محلنا وكان المجلس محتشدًا بالمستمعين، فلما انتهى المولد قام المرحوم السيد ياسين طبطبائي وألقى كلمة خلاصتها «ليس القصد من مولد النبي تلاوة المولد وإنما القصد الاقتداء بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم من الأعمال الجليلة. ولا يمكننا الاقتداء به إلا بعد العلم بسيرته. والعلم لا يأتيكم اليوم إلا بفتح المدارس المفيدة، وإنقاذ الأمة من الجهل». وبعدما انتهى كلامه تدبرته فإذا هو الحق فأخذت أفكر في الوسيلة التي يكون بها فتح مدرسة علمية».

كانت هذه المناسبة التي أدت إلى نشأة المدرسة المباركية في اليوم الثاني عشر من شهر ربيع الأول لسنة ١٣٢٨هـ الموافق لليوم الثاني والعشرين من شهر مارس لسنة ١٩١٠م. ولهذا الحدث عدة دلالات هي:

١ - أن قصة المولد كانت تقرأ في أي مكان يمكن أن يجتمع فيه الناس ولو كان مكتبًا تجاريًا.

٢ - أنه على الرغم من أن الجالسين كانوا من المتعلمين وبعضهم كالشيخ يوسف بن عيسى من العلماء لكنهم طلبوا من الشيخ محمد بن جنيدل أن يقرأ لهم.

٣ - أن قراءة المولد والاحتفال به كانا قديمين في الكويت، لأن الحادثة رواها الشيخ يوسف وحدثت في سنة ١٩١٠م ليس فيها ما يدل على أن هذه هي المرة الأولى التي يجتمع فيها جمع من الناس لسماع قصة المولد، مما يوحي بأن هذا الأمر قديم في البلاد، وقد درج عليه السكان منذ وقت لا تعرف بدايته.

ومحمد بن جنيدل الذي ذكره الشيخ يوسف بن عيسى، من مواليد سنة

Scanned with CamScanner

١٨٩٠م، وكان مولده في الحي القبلي من الكويت (العاصمة)، درس في الكتاتيب التي كانت بالقرب من سكنه، وتلقى العلم على أيدي عدد من العلماء، ثم جلس للقاء طلاب العلم، وكان إمامًا وخطيبًا ويتولى كتابة عقود الزواج ويفتي في المسائل الفقهية، وكان محبًا للخير، لا يتقاضى مالًا من أولئك الذين يدرسهم، تبرع لبناء المدرسة المباركية عندما علم أن جمع التبرعات لها قد بدأ.

توفي- رحمه الله- في سنة ١٩٣٠م.

وللنساء - أيضًا - جلسات لقراءة المولد أو قصة المولد، فهذه امرأة صالحة تسكن في فريج الشاوي تحيي المناسبات الدينية، نُسميها مُطوّعة أمينة، وقد جرى عليها اسم أمينه لِيهَرَهْ (أي الجهراء) ربما تكون قد جاءت من هناك في بداية حياتها. وقد كانت تقرأ المالد في موعده، ويتجمع حولها النسوة للاستماع وترديد الأدعية والصلاة على الرسول الكريم، كما يتجمع الأولاد في خارج بيتها يلعبون ويصخبون، ويشترون ما يشاؤون من حلوى عندما يمر بهم الباعة المتجولون الذين يستغلون هذه الفرصة لترويج ما لديهم من بضاعة.

أذكر أن هذا اليوم كان من أسعد الأيام، وكنا في زمن الطفولة نترقب قدومه.

وكلمة (المالد) المتداولة في ذلك الوقت تدل على الحفلة التي يجتمع فيها الناس لقراءة ما كتبه البرزنجي عن مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي تقام في ذكرى ميلاده الشريف، وتطلق هذه الكلمة - أيضًا - على الورقات التي تتضمن الحديث عن المولد، وهي من تأليف جعفر البرزنجي.

وهنا سوف أتحدث عن هذا النوع من الموالد إلا أنني سوف أمر سريعًا على بعض الأنواع دون التركيز عليها، ذلك لأن هناك جلسات تسمى المالد أو المولود وهي لا تتعلق بزمن معين، يقوم بها أشخاص اعتادوا حضور هذه الجلسات، وترديد

Scanned with CamScanner

النشيد فيها، كما يقوم بأمرها رجال لكل واحد منهم مهمته أثناء الجلسة ولهذا الأمر تفصيل كثير لا سبيل إلى الحديث عنه لضيق المجال من جهة، ولأنه ليس هو ما أريد الحديث عنه من جهة أخرى، فقد ذكرت سالفًا ما أريد ذكره في مقالي هذا.

قبل أن استطرد في حديثي عن مولد البرزنجي الذي كان يُردّدُ فيما مضى، فإنني لابد وأن أذكر ما يلي:

لم يكن علماء الدين الكويتيون يرون بأسًا في الحضور والاستماع، ولم يكونوا يرون فيما يُقرأ مما كتبه البرزنجي شيئًا مخالفًا للدين. وكان عدد منهم ممن ينتهج منهج السلف، ولكنهم لم يتوقفوا عند أمر المولد بل لقد رأوا أن الاحتفاء بيوم مولد الرسول الكريم هو يوم على خلاف باقي الأيام فهو اليوم الذي أشرق على الدنيا بنور النبوة المباركة والاحتفال فيه نوع من تبجيل رسول الله، والتعبير عن محبتنا له، وللرسالة التي حملها إلينا من رب العالمين.

ولقد وجدت عددًا من الأحاديث التي تدعو إلى محبة الله ورسوله، وهذا الاحتفال الذي ليس فيه مظهر من المظاهر المخالفة للشرع إنما هو تعبير عن المحبة المطلوبة لله ولرسوله من كل مسلم.

وهذان حديثان وردا في كل من صحيح البخاري وصحيح مسلم يؤكدان على ضرورة أن يحب المسلم ربه ونبيه أولهما حديث سيدنا أنس بن مالك الوارد في صحيح البخاري وصحيح مسلم الذي جاء في أوله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الإيمان؛ وإحدى الثلاث: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما».

أما الحديث الثاني فقد ورد - أيضًا - في البخاري ومسلم وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

Scanned with CamScanner

شيء آخر ينبغي أن أشير إليه هنا وهو قول البعض إن الاحتفاء بالمولد النبوي بدعة، ولقد ردّ أحد الكتاب على هذا القول ردًّا واضحًا وجيدًا فذكر أن هذا العمل (الاحتفاء بالمولد) إذا كان بدعة لأنه ابتدع بعد وفاة رسول الله صلى عليه وسلم، فإن هناك العديد من الأمور التي أخذ بها المسلمون وبخاصة الصحابة رضوان الله عليهم ولم تكن على عهد رسول الله، فهي بحسب المصطلح بدعة ولكنها بدعة حسنة، وهناك من الأعمال التي نذكر منها على سبيل المثال: نقط المصحف.

ويرد هذا الكتاب على مثيري الأقوال التي تمنع قيام المسلمين بالتعبير عن محبتهم لنبيهم صلى الله عليه وسلم فيقول: «أما المقصود بقوله صلى الله صلى الله عليه وسلم: «كل محدثة بدعة...» وقوله: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ». فإنه بذلك يعني ما خالف الشريعة، وأخذ فيه المرء بالرأي وبالهوى».

إذن فلا مجال للتوقف عن الاحتفال بالمولد النبوي كل سنة، وهو احتفال ليس فيه من المظاهر الاحتفالية التي تخالف ظاهرًا من الدين بل كان يقتصر على قراءة قصة المولد كالسابق أو إلقاء كلمات بسيطة كما يجري عندنا اليوم، ولذلك فإنني كررت هنا كلمة (الاحتفاء) وهي تعني الاهتمام بهذا اليوم المبارك.

وعندما أقول هذا فإنني لا أقصد الموالد التي نشهد فيها الرقص والضرب على الدفوف، والتغنّي بالمحرمات من الكلام والأصوات، ولكنني أقصد الاحتفاء اللائق الذي لا خروج فيه عن الدين والعرف، وهذا هو ما كان سائدًا عندنا في الكويت.

أما البرزنجي فهو زين الدين جعفر بن حسن البرزنجي المتوفى في سنة ١٧٦٤م، وقد عرف بأنه فقيه أديب من أهل المدينة المنورة، ولد فيها ونشأ وتوفي. ويقال إنه كان مفتيًا لأتباع المذهب الشافعي هناك.

Scanned with CamScanner

له عدة مؤلفات منها قصة المولد النبوي الشريف وقصة المعراج، ويبدو أنه ينتمي إلى مجموعة من الناس كبيرة فقد ألف عنهم كتابه: «الشقائق الأترُجية في مناقب الأشراف البرزنجية». وله كتب أخرى غير ما ذكرنا.

طبع كتابه الخاص بالمولد في عدة طبعات منها هذا الذي بين يدي الآن وهو مطبع في سنة ٢٠٠٣م ضمن مجموعة أخرى مشابهة، وقد حقق الكتاب الشامل لهذه المجموعة الدكتور صلاح الدين الهواري. وتعهدت بطبعه داران من دور النشر بلبنان، وتولت إحداهما وهي دار ومكتبة الهلال للطباعة والنشر توزيعه.

يتكون كتاب البرزنجي من ثلاث وعشرين صفحة من القطع المتوسط. والطبعة أنيقة ومشكولة ويلاحظ أنها قد كتبت على هيئة فصول غير مسماة بحيث نستطيع أن نسميها وقفات، وتعتبر هذه الوقفات فرصة لقارئ المولد كي يرتاح كلما قطع مرحلة من مراحل القراءة فهو عندما يتوقف يبدأ الحاضرون بالدعاء التالي بصوت منغم عالٍ قائلين: «عَطِّر اللهم قبره الشريف بعرْفٍ شذيٍّ من صلاة وتسليم» وعندما يتوقف هؤلاء عن الدعاء الذي يقومون بترديده أكثر من مَرّة يستأنف القارئ قراءته، وهكذا حتى النهاية. يبدو أن البرزنجي لم يكتب قصة المولد بيده بل أملاها على أحد تلامذته أو أصدقائه ودليلنا على ذلك قوله في أول سطر من كتابه: «ابتدئ الإملاء باسم الذات العلية» ثم يستمر في الدعاء حتى يصل إلى نهاية الفقرة الأولى، ثم يعرض نسب الرسول الكريم في الفقرة الثانية، مع ذكر مآثر أجداده ثم يستمرُّ بعد ذلك في الفقرات التي رتبها تاريخيًا منذ لحظة الميلاد، وذكر فيها مناقب الرسول الكريم وما جُبل عليه من حب الخير وحِرْصٍ على الأمة ورعاية لها إلى أن جاء الختام بدعاء طويل استغرق ما يقرب من ثلاث صفحات، هذا وكان الأسلوب مشوقًا جميلًا لا يعيبه إلا السجع الكثير الذي لم يخل سطر من سطور الكتاب منه. ولكن المؤلف معذور في هذا فإنه كتب كتابه في زمن كان السجع

Scanned with CamScanner

فيه سائدًا وكان الكاتب الذي لا يجيد الكتابة المسجوعة لا ينظر إليه نظرة التقدير الواجب، وهو معذور - أيضًا - لأنه كتب ذلك الذي كتبه لكي يحفظه الناس، ولكي يردده المرددون والمنشدون وهذا يقتضي وجود السجع في الكتاب.

من الملاحظ أننا ركزنا على جلسات المالد التي كانت تتلى خلالها أوراق البرزنجي التي أشرنا إليها. ولكن المالد في الكويت له أنواع أخرى لابد من ذكرها هنا؛ منها تجمعات يُنشد فيها مختصون أناشيد دينية متنوعة، أذكر أن بيتًا كان قريبًا من بيتنا القديم في فريج الشاوي قد أقام حفلة مولد وفاءً لنذر استحق على صاحب البيت، وقد حضرتُ في تلك الليلة التي أقيمت فيها جلسة المالد بعد صلاة العشاء، وكنت - يومذاك - صغيرًا، ولكنني أستطيع - الآن - أن أصف ما حدث:

كانت ساحة البيت (الحوش) مفروشة بالحصر عليها سجاد يجلس فوقه المشاركون في الأناشيد الدينية وقد جلس الرجال في صفين متقابلين على صفة الجلوس في الصلاة ووقف في الطرف بين الصفين رجل عليه مهابة السن، هو المنشد وكان يقرأ أجزاء من قصة المولد ثم يتلو ذلك بنشيد طويل يقدمه بتنغيم جميل وبصوت عالٍ. وعند بعض الوقفات التي يقفها الرجل كان الجالسون يردون عليه بعد أن يقفوا نصف وقوف بأن يرفع كل واحد جذعه الأعلى ويبقى الساقين والركبتين على الأرض. فمن ذلك أن المنشد أو الملا عندما يصل بالنشيد إلى قوله:

بشراكمُ يا ماديحينَ محمدا

نلتوا الهَنا بالفوزِ والبركاتِ

يهب الجالسون وهم (الرّدّادة) قائلين:

اللّهُمَّ صَلِّ عليهِ

اللهم صل عليه

Scanned with CamScanner

ولعلك تلاحظ الضعف الشديد في لغة البيت المتقدم ولكن هذا ما كان بإمكانهم أن يقدموه في تلك الأيام.

يمضي الليل وهم ينشدون إلى أن يصلوا إلى نهاية حفلهم هذا، وعند ذلك يقفون متقابلين ويرددون نشيدًا موحدًا بينهم. ثم يقدم لهم طعام العشاء أما نحن المشاهدين فنجلس على الأرض نحيط بهم ونستمع اليهم، وكلٌ منا ينصرف عندما يجد نفسه قد اكتفى بمشاهدة وسماع ما مرّ عليه. لقد كانت ليلة جميلة سعد بها أبناء الفريج إذ كان الباب مفتوحًا لهم جميعًا، ولم تكن هناك دعوة مقصورة على أناس بعينهم.

وشهدت حفلًا للمولد النبوي في سنة ١٩٦٩م، وكان بمبادرة خاصة مني، وقد دعوت إليه زملائي القدماء في معهد الكويت الديني الذين تميزوا بإجادة الإنشاد وقد كانت ليلة من أجمل الليالي أبدع فيها المنشدون وأجاد المرددون، وكان من ضمن الذين شاركوا المرحوم علي حسين الحسيني وهو قارئ للقرآن في الإذاعة معروف، ومنشد من الدرجة الأولى، ومنهم المرحوم يعقوب اللوغاني وهو مبدع في هذا المجال، وقد أسعدني الحظ فأهداني شقيقه الأخ خليفة اللوغاني شريطًا سجل فيه جلسة من جلسات المولد التي أنشد فيها، وكان إلقاؤه واضحًا ورقيقًا في الوقت نفسه. ولا أريد أن أطيل في ذكر الباقين فقد كان عددهم كبيرًا. وكانت سعادة الجميع في النهاية غامرة، أما لحن الختام فكان نشيدًا قصيرًا مما يردده الصوفية دائمًا، وهو قولهم:

دغ طرق الغني
فالدُّنيا فني
الكلُّ يفنى
والباقي حي

رحم الله من توفي منهم، وأطال في أعمار الباقين.

Scanned with CamScanner

هذه اللقاءات تتكرر في كل مكان في السابق ويمكن أن يكون شيء منها قائمًا إلى الآن في الكويت، ولكننا لا نعلم عنه الكثير، على العكس مما كان سائدًا في الماضي من وجود فرق بعينها ذات نظام دقيق يشرف عليها مسؤولون، يؤدون ما تحتاج إليه من خدمات أثناء العمل وقبله بحيث يكون ما يقدمونه على مستوى راقٍ من الإتقان، ويكون اللقاء بعيدًا عن الفوضى التي تعم في أماكن التجمعات إن لم يكن هناك من يقوم بالضبط. وبما أن العمل هو عمل فرقة فإن حكمها حكم غيرها من الفرق التي تقوم بأعمال أخرى لها رئيس ومساعد ولها مراقبون ومشرفون على تقديم الأدوات والمشروبات والمأكولات وغيرها لأفراد الفرقة وللحاضرين للاستماع إليها. وكانت فرقة الشيخ محمد الدوب من أهم الفرق الخاصة بالمالد وأكثرها شُهرةً، وَيُطلبُ الدوب لأداء المالد في المنازل وفي الديوانيات، ويحتشد الناس لسماعه، وقد صارت له أناشيد معروفة ومحفوظة في أذهان الناس ومنها هذه النشيدة المشهورة في ذلك الوقت:

صلى عليكَ اللهُ يا العدناني
يا المصطفى يا صفوةَ الرحمنِ
قفْ لي قليلاً حاديَ الأظعانِ
قلبي كَوَتْهُ جمرةُ الأشجان
يا ليلُ لا تهجر وَعُدْ من شاني
فالقلبُ في قربِ الأحبةْ هاني

وتجد الملا محمد الدوب يخلط في بعض الأحيان بين بعض الألفاظ الدارجة التي تتعلق بأحد الصالحين مع أبيات من قصائد معروفة مثل نشيد «الله ولي» ففيه يبدأ بقوله:

الله ولي الله ولي ولي النعم الولي
يا شيخنا العيد روس يا ساكن العدن

Scanned with CamScanner

ثم يقول أبياتًا هي من قصيدة البردة للبوصيري منها:

أيحسبُ الصَّبُّ أن الحبَّ مُنْكَتِمُ
ما بين منسجمٍ منه ومضطرمِ
فأثبتَ الوجدُ خَطّي عبرة وَضَنًا
مثل البهار على خديك والعَنَمِ
يا لائمي في الهوى العذريِّ معذرةً
مني إليكَ ولو أنصفتَ لم تَلُمِ

وهذه الأبيات منتقاة من القصيدة المشهورة، ولكنها غير مرتبة وفق ترتيب الأصل. وفيها بعض الأخطاء وقد صححتها وفق ما جاء في ديوان البوصيري.

وبعد؛ فقد كتبت هذا عما أعرفه عن المالد في الكويت بعد سماع ومشاهدة، أو بعد قراءة في كتاب، أو نقل عن شخص أثق به. وقد أكون قد تجاوزت بعض الأشخاص فلم أذكرهم في مقالي هذا، فذلك لأن عدم الذكر إنما كان للسبب المتقدم، ولا يغض هذا من قيمة أحد.

****

Scanned with CamScanner

ملحاق خير

ينبغي أن نشير هنا إلى أمر له علاقة وثيقة بالمولد النبوي، ذلك أن مناسبات المولد عندنا كانت تضم إلى جانب قصة مولد الرسول الكريم شيئًا من المدائح التي مدح بها، وأغلبها من أقوال شعراء العصور المتأخرة من الذين عرفت عنهم مثل هذه الأشعار بل إن بعضهم خصص نفسه لها.

القاعدة هنا مختلفة فإن الذي سوف نعرضه ليس مثل تلك الأشعار التي أشرنا إلى بعضها في المقال بل إننا سوف نعرض أشعارًا قيل بعضها في زمن حياة الرسول صلى الله عليه وسلم.

بين يدي كتاب ألّفَه أخ عزيز ارتبطت به، وارتبط به كذلك أخي الدكتور مرزوق يوسف الغنيم وأخي الدكتور عبدالله يوسف الغنيم وارتبط به كذلك رواد ديوانية الثلاثاء كلهم ورواد عدد من دواوين الكويت التي كان يتردد عليها، وكانوا يحرصون على حضوره، لما يُقدِّمُهُ من فوائد جمة في المسائل المتعلقة بالدراسات الإسلامية التي برز بها. ومن أجل أنني كتبت عنه مقالًا كاملًا وشاملًا ضمن مقالات «الأزمنة والأمكنة» فلا أجد داعيًا لإعادة الحديث عن حياته ودراسته وتاريخ العلاقة به. ولقد كانت فجيعتنا بوفاته كبيرة إذ فقدنا بذلك منهلًا عذبًا للعلم، وكان خير من يطرح ما لديه من معلومات ولا يمل المرء سماعها مهما طال الحديث، أو تكرر.

رحم الله الأخ الأستاذ عبدالحميد البسيوني صاحب هذا الملحاق. وهو صاحبه من حيث إنه مكرِّس للحديث عن كتابه: «المادحون لرسول الله صلى الله عليه وسلم»

Scanned with CamScanner

وهو كتاب صغير الحجم عظيم الفائدة، جمع بين دفتيه قصائد لعدد من الشعراء الذين مدحوا الرسول الكريم أثناء وجوده بينهم، ومن أولئك الذين وردت لهم أشعار في هذا الكتاب عم رسول الله العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه. الذي قال عنه ابن الأثير في كتابه «أسد الغابة»: أن العباس تقدم يومًا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال: يا رسول الله، أريد أن امتدحك. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قل، لا يَفضض الله فاك. فقال:

من قبلها طِبتَ في الظلال، وفي
مستودع حيث يُخصف الورقُ
ثم هبطتَ البلادَ، لا بشرٌ
أنت، ولا مضغة، ولا علقُ
بل نطفة تركب السفين، وقد
ألجم نَسْرا وأهله الغرقُ
تُنقلُ من صالب إلى رحمٍ
إذا مضى عالم بدا طبَقُ
وردت نار الخليل مكتتمًا
في صلبه أنت، كيف يحترقُ؟
وأنت لما وُلدتَ أشرقت الأر
ضُ، وضاءت بنور وجهك الأفقُ
فنحن في ذلك الضياء وفي النو
ر، وَسُبْل الرشاد نستبقُ

كانت هذه الأبيات أول أبيات مستقلة بمدح الرسول صلى الله عليه وسلم. وهي أبيات في منتهى الجمال، تدل على شاعرية مبهرة وعلى فهم وإدراك للحياة، وتقدير عالٍ لرسول الله الذي شهدنا في أبيات العباس ابن عبدالمطلب تنقله في أصلاب الأنبياء والصالحين منذ كان سيدنا آدم في الجنة، إلى أن ورد نار الخليل عليه السلام وهو في صلبه واعْجَبْ لهذا التساول: «في صُلبه أنت، كيف يحترق»؟

Scanned with CamScanner

ثم يمضي ليعبر في آخر بيتين عن إشراق الأرض بالنور، عندما أضاء وجهه الكريم الآفاق، وتبع ذلك بالتعبير عن تمتع المسلمين بذلك الضياء الغامر والنور المبين، وتبيان ما كان عليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يتسابقون في سبل الرشاد.

وعلى الرغم من أنها - كما ذكر الأستاذ بسيوني - أول قصيدة من نوعها فقد كانت إبداعًا بمعنى الكلمة بأسلوب رقيق صادق، ولغة سهلة.

****

Scanned with CamScanner